حكايات من القرآن

١٥

الملكة الراشدة بلقيس

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وهَكَذا وَصَلُوا إلى قِمَّةِ الجَبلِ المُطِلِّ على البحرِ.. فَجَلَسُوا ليرتاحُوا قليلاً..

وبعدَ قَلِيلٍ شَرِبُوا الشَّايَ بالنَّعْنَاعِ...

نَظَرَ الجَدُّ نحو اليمينِ ، ثمَّ نَظَر نَحو اليسارِ.. ثُمَّ قال: إنَّها حَقّاً قِطْعةٌ مِنَ الجَنَّةِ!!

جِبالٌ تَكْسُوها الأشْجارُ الضَّخْمةُ.. وبَحْرٌ أَزْرقُ اللَّونِ.. تَعْلُوه الأمواجُ ، وسَماءٌ صافِيةٌ ، وهَواءٌ عَلِيلٌ.

ضَحِكَ الجَدُّ وقالَ: ولكنْ يَنْقُصُنا ضَجِيجُ السَّيَّاراتِ.. وصَخَبُ المَدينةِ المُزْدَحمةِ ، وأَصْواتُ أَبْواقِ القِطاراتِ والسَّيَّاراتِ ، والرَّوائح.. والتَّلوُّث..!!

وفَهِمَ الأولادُ أَنَّ الجَدَّ يقصدُ بذلك أنَّ الحياةَ السَّعِيدةَ لا تكونُ إلا في أَحْضانِ الطَّبِيعةِ...

فقالَ (خالدٌ): إذاً لماذا لا تَتْركُ المَدِينةَ.. وتَسْكُنُ معنا على شَواطِئِ البحرِ؟!

وتَنَهَّدَ الشَّيخُ ، ثم قال: آهٍ.. لو أستطيعُ ذلك..! لكنْ هُناكَ ذِكرياتُ طُفُولتي وصِباي، وهُناكَ بعضُ أَصْدِقائي!!

وبعدَ اسْتِراحةٍ قاربتِ السَّاعةَ والنِّصْفَ.. قال (أبو خالد): هَيَّا نريدُ الذَّهابَ إلى مَكانٍ آخرَ.. فالوقتُ يَسابِقُنا.. وما هي إلا ساعاتٌ ويَنْقَضِي النَّهارُ..

وحَمَلُوا أَمْتِعَتَهُم.. ونَزَلُوا رُويداً.. أمَّا الأطفالُ فكانُوا يَقْفِزُونَ كالأرانبِ هُنا وهُناك.. ويَسْقُطُ أحدُهم على صَخْرةٍ هنا.. ويتسابقُونَ هناك..

فهمْ يعيشونَ فَرَحاً لا مثيلَ له.. من جِهةِ أنَّهم

مع والديهم.. ومع الجَدِّ العَزِيزِ.. ومن جهةٍ أخرى هم يَقْضُونَ يومَ عُطْلةٍ في أَحْضانِ الطَّبِيعةِ الجَمِيلةِ...

قالتْ (أمُّ خالدٍ): على بُعدِ عِدَّةِ كيلو متراتٍ يوجدُ نَهْرٌ عَظِيمٌ.. وحَولَه أشجارٌ.. فما رأيُكم أن ننطلقَ إلى هُناكَ.. وإذا ما وَصَلْنا أَعْدَدْتُ لكم طَعامَ الغَداءِ..

ووافَقُوا على الاقتِراحِ.. ورَكِبُوا السَّيَّارةَ وانْطَلَقُوا.. وفي الطَّرِيقِ كان الأطفالُ ينشدُونَ بعضَ الأناشيدِ الدِّينيةِ والوَطَنِيَّة، وكان الجَدُّ يُشارِكُهم فَرْحَتَهم.. فَيُصَفِّقُ تارةً.. ويُرَدِّدُ تارةً أُخْرى...

ولمَّا وَصَلُوا إلى ضِفَّةِ النَّهْرِ.. رأوا حَوْله مناظِرَ طَبِيعيةً خَلاَّبةً..

الزُّهورُ الجَمِيلةُ قد تَفَتَّحتْ.. والأشجارُ

المُثْمِرةُ قد أَيْنَعَتْ ثِمارُها.. والطُّيورُ تطيرُ هنا وهناك.. إذا أَصْغَيتَ سَمْعَكَ قليلاً تَسْمعُ مجموعةً من أصواتِ الطُّيورِ ، وكأنَّها فرقةٌ مُوسيقيَّةٌ!!

والفراشاتُ تقفزُ من شَجَرةٍ إلى أُخْرى.. والنهرُ يَتَدفَّقُ ، ليروِيَ الحُقولَ الخَضْراءَ الجَمِيلةَ...

يا إلهي! ما أجملَ ماخَلَقْتَ ، وما أورعَ - هكذا قال الجَدُّ - إبْداعَكَ.. و.. العَجبُ مِمَّن لا يعبُدك.. بل يعبدُ حَجَراً أو شَجراً أو بشراً!!

وجلسَ الجَدُّ مع ابنه على الحَشَائِش قُربَ النَّهْرِ.. وراحا يتحدَّثانِ عن بعضِ الأُمورِ الاجْتِماعِيَّةِ ، بينما كان الأولادُ يَرْكُضُون تارةً.. ويُغَنُّونَ تارةً أُخْرى.. ويقفِزُونَ ويَمْرَحُون.. ويختبئُ أحدُهم بين الزُّروعِ.. بينما يبحثُ عنه الآخرونَ..!!

ولمَّا أَعدَّتْ (أمُّ خالدٍ) الطَّعامَ ، ووضَعَتْه على الأرض.. نادتِ الجَمِيعَ لتناولِ وَجْبةِ الغَدَاءِ.. ثمَّ تَنَاولُوا قليلاً من أنواعِ الشَّرابِ الباردِ...

فقال الجَدُّ: ما رأيُكم أن تَسْتَمِعُوا إلى حِكايةٍ جَدِيدةٍ؟!

في مَمْلكةِ سُلَيْمانَ عليه السَّلامُ

واجتمعَ الأولادُ حَوْلَ جَدِّهم... فقال الجَدُّ وهو يَبْتَسِمُ: والآنَ بدأتْ أَحْداثُ الحِكايةِ:

استجابَ اللهُ تعالى دُعاءَ نَبِيِّه (سليمان بن داود) عليهما السَّلامُ ، وذلك عِنْدَما قالَ:

﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾

[ص: ٣٥ ـ ٣٨].

فأصبحَ الملكُ سُليمانُ عليه السَّلامُ يُسَخِّرُ الرِّيحَ ، فَيَأْمُرُها بِما شاء.. ، وكذلك سُخِّرَ له الجِنُّ والشَّياطِينُ.. ، وكذلكَ أصبحَ يَفْهمُ مَنْطِقَ الطَّيْرِ والحَيواناتِ.. وهذا مِنْ نِعَم اللهِ وفَضْلِهِ على مَنْ يَخْتَصُّ مِنْ عبادِهِ المُخْلَصِينَ...

وذاعَ أَمْرُ المَلِكِ سُليمانَ في أَنحاءِ المَعْمُورةِ.. ، لكنَّ ذلك لم يَجْعَلْه يتكبَّرُ على النَّاس ، بل على العَكْسِ تماماً ، فقدِ ازْدَادَ تَواضُعاً لله ولِعبادِه...:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: ١٥].

محاكمةُ الملكِ سُليمانَ لِلْهُدْهُدِ!!

تابعَ الشَّيخُ الحكايةَ قائلاً:

وفي يَوْمٍ مِنَ الأيَّامِ أرادَ الملكُ سُليمانُ أن

يَسْتَعْرِضَ جُنُودَهُ.. فأصدرَ أمراً أن يُجَهِّزُوا له مَوْكِباً حاشِداً.. ويَجْمَعُوا له الجِنَّ والإِنْسَ والطَّيْرَ...

ولمَّا خَرَجَ راحَ يتفقَّدُ الجُنْدَ هنا وهناك... وكانتِ النَّتيجةُ أنَّ طائرَ (الهُدْهُدِ) لم يَحْضُرْ ذلك التَّفَقُّدَ!!

فَغَضِبَ سليمانُ وقال: وكيف يَخْرُجُ من دُونِ إذنٍ مني؟.. لأُعَذِّبَنَّه.. ولأَجْعَلَنَّه عِبْرةً لغيرِه..

ولكنْ بعدَ دَقائِقَ حَطَّ الهُدهُدُ بين يدي مَلِكِه سُليمانَ.

فَنَظَرَ إليه المَلِكُ ، وقال: قَدِّمْ عُذراً مَقْبُولاً لِتَأخُّرِكَ.. وإلا..!!

طأطأَ الهُدهُدُ رَأْسَهُ ، فقال: يا سَيِّدي! كنتُ في رِحْلةٍ سِياحِيَّةٍ ، فرأيتُ أَمْراً عَجَباً!

فقالَ المَلِكُ: وماذا رأيتَ؟.. وأينَ ذلك أيُّها الهُدْهُدُ؟

فقالَ الطَّائِرُ: يا سَيِّدي لقد رأيتُ في بلادِ اليمنِ قوماً تحكُمُ أُمورَهُم امْرأةٌ..!!

فقالَ المَلِكُ: وما هي قِصَّتُها؟

فقالَ الطَّائِرُ: يا سَيِّدي! إنَّها امْرأةٌ قَوِيَّةٌ ، تملكُ النُّفوذَ والأَمْوَالَ والجَمالَ ، ولديها جَيْشٌ جَرَّارٌ قَويٌّ ، .. وعندها عَرْشٌ ـ كرسيُّ المَلِكِ ـ لم أَرَى مِثْلَهُ في كُلِّ أَنْحَاءِ الأَرْضِ..

نَهَضَ المَلِكُ قائلاً: ثُمَّ ماذا أيُّها الطَّائِرُ؟

فقالَ الطَّائرُ: يا سَيِّدي! لكنَّ العَجِيبَ فيها وفي أَتْبَاعها.. أنَّهُم تَرَكُوا عِبادةَ اللهِ وعَبَدُوا الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللهِ سُبْحانه..!!

فقالَ المَلِكُ: لقدِ اسْتَمَعْتُ إلى قَوْلِكَ أيها الهُدهُدُ.. ولكن سأتبيَّنُ صِدْقَ ذلك..

ورتَّلَ (أبو خالدٍ) قولَ اللهِ تعالى:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠ ـ ٢٧].

رِسالةٌ مِنَ المَلِكِ إلى المَلِكةِ!!

قالَ (خالدٌ): فماذا فَعَلَ الملكُ سُليمانُ مع الطَّائرِ يا جَدِّي؟

تابَعَ الجَدُّ حِكايَتَهُ الجَمِيلةَ:

أَمَرَ سُليمانُ عليهِ السَّلامُ الهُدهُدَ أن يَحْمِلَ رسالةً منه ، ثم يَضَعُها في قَصرِ الملكةِ دُونَ أن يَرَاهُ أحدٌ... ثم لِيَأْتِه بالخَبَرِ اليَقِينيِّ مِنْ هناك...

وحَمَلَ الهُدهُدُ رِسالةَ مَلِكِه ، وانطلقَ.. فلمَّا وَصَلَ إلى قَصْرِ المَلِكةِ في اليَمنِ ، اقتربَ من إحْدى نَوَافِذِ غُرفةِ نَوْمِها ، وألقى الرِّسالةَ.. واختَبأ ، لينظرَ ماذا سَيَحْدُثُ...

وفي تِلْكُم الليلةِ ، دَخَلَتِ الملكةُ غُرفةَ نَوْمِها.. فرأتِ الرِّسالةَ!!

أَخَذَتْها.. وقرأتْ فيها كلاماً عَجِيباً: بسم الله الرَّحْمنِ الرَّحِيم ، مَنِ الملكِ النَّبِيِّ سُليمانَ بنِ دَاودَ إلى مَلِكةِ اليمنِ ، إذا وَصَلَكُم كتابي هذا.. فاتْرُكُوا كُلَّ شَيْء بين أيديكم.. وتَعالَوْا إليَّ مُسْلِمِين.. فليسَ سِواي مَلِكٌ في هذا الزَّمانِ!!

وفـي الصَّبـاحِ البـاكـر جَمَعـتِ الملكـةُ مُسْتَشاريها وُوُزَرائها ، وأَعْلَمَتْهُم بِقِصَّةِ كتابِ سُليمانَ.. ثم أرادتْ أن يُدْلِيَ كُلُّ واحدٍ منهم برأيٍ لِحَلِّ المُشْكلةِ الرَّهيبةِ..

فكانَ إجماعُ رأيهم على مُقاتلةِ سُليمانَ.. فَهُمُ الرِّجالُ الأبطالُ الشُّجْعانُ ، وهم الَّذينَ يَمْلِكُونَ الأموالَ والسِّلاحَ...

ولكنَّ المَلِكةَ كانتْ ذاتَ رأيٍ صائبٍ ، وقَوْلٍ سَدِيدٍ ، فقالتْ لهم: لكنِّي أُخالِفُكم الرَّأيَ في ذلك ، وأقترحُ أن نُرْسِلَ لسليمانَ هَدِيَّةً ، فإن قَبِلَها فهو رَجُلٌ يطمعُ في أُمورِ الدُّنيا. وإنْ رَدَّها فهو رَجُلٌ له شأنٌ مُخْتَلِفٌ..!!

إنَّها الرِّشْوةُ مِنَ المَلِكةِ!!

وأرسلتِ المَلِكةُ أَمْوالاً ومُجَوْهراتٍ ، مع وَفْدٍ مِنَ الوُفودِ..

ولمَّا وَصَلُوا إلى قَصْرِ سُليمانَ.. وقَدَّمُوا له ذلك كُلَّه غَضِبَ.. وأمَرَ بِرَدِّ الرِّشوةِ.. وقال: هذا ليسَ هَدِيةً.. فاحْمِلُوه إلى مَلِكتِكُم.. وأَخْبِرُوها إنَّني سَأُرْسِلُ لها جَيْشاً يُؤَدِّبها وقَوْمَها أَجْمَعِينَ!!

وتلا (أبو خالدٍ) قولَ الله تعالى:

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۖ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣٧] .

قَفَزَتْ (بُشْرى) إلى جِوار جَدِّها تُرِيدُ تَسْرِيعَ أَحْداثِ القِصَّةِ..!!

فقالتْ: فماذا حَدَثَ بعدَ ذلكَ يا جَدِّي؟

وهَكَذا أَعْلَنتْ بلقيسُ إسْلامَهَا..

فأرادَ الملكُ سُليمانُ أن يُفْهِمَ الملكةَ وقَوْمَها أنَّ الأمرَ ليسَ كَلاماً فَقَط.. إنَّما هُوَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيه مَنْ يَشاءُ.. فأَمَرَ جُنُودَه بأن يُحْضِرُوا له عَرْشَها!!

وعلى جَنَاحِ السُّرعةِ.. جِيءَ بِعَرْشِها ، ووُضِعَ في قَصْرِ سُليمانَ.. وَوَصَلتِ الملكةُ مع وَفْدٍ عالي المُسْتَوى إلى قَصْرِ سُليمانَ ؛ وذلك بِهَدفِ التَّفاوضِ معه ، وإنْهاءِ الخِلافاتِ ، فلمَّا دَخَلتِ القَصْرَ ، رأتْ أمَامَها بُحَيْرةً مِنَ الماءِ ، ورأتْ أَعْمِدةَ القَصْر ، فكشفتْ عن ساقَيْها ، وذلك من أجلِ ألاَّ تبتلَّ ثِيابُها بِالماءِ!!